

خُدْعَةٌ بِخُدْعَةٍ

بقلم : عبد الحميد عبد المقصود
بريشة : عبد الشافي سيد

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع



هناكَ مَثَلٌ يقولُ :

« إذا كُنتَ قويًا ، فلا تَغْتَرَّ بقُوَّتِكَ فقد تَقَعُ فيمنْ هو أَقْوَى مِنْكَ ، وإذا كُنْتَ دَاهِيَةً ، فلا تغْتَرَّ بدَهَائِكَ ، لأَنَّكَ قَدْ تَقَعُ فِيمَنْ هو أَقْوَى مِنْكَ » .

وهذا ما حدثَ بَيْنَ أَرْنُوبٍ وثَعْلُوبٍ ، فبَعْدَ أَنِ استَوْلَى أَرْنُوبُ على أَكْيَاسِ الذَّهَبِ الثَّلاثَةِ التي خَدَعَهُ ثَعْلُوبُ ، وخَبَّأَهَا في مَنْزِلِه تحْتَ الْمَوْقِدِ ، جُنَّ جُنُونُ ثَعْلُوبٍ ..

لكنَّهُ لمْ يَستسلِمْ للْهزيمةِ ، بلْ قرَّرَ التَّوجُّهَ إلى منْزِلِ أرْنُوبٍ ، ليَعْرِفَ مَصيرَ الأكْياسِ الذَّهبيَّةِ ، ويَرُدَّ الْخُدْعَةَ بِخُدْعَةٍ مِثْلِها .. وإليْكَ ما حدَثَ :

رَكِبَ ثعْلوبُ ثوْرًا ، وودَّعَ زوْجَتَهُ قائلاً :

إذا تغيَّبْتُ يوْمًا أوْ يوْميْنِ ، فلا تبْحثي عنِّي ..

ثُمَّ قادَ الثَّوْرَ مُتوجِّهًا إلى منْزِلِ أرْنوبٍ ..



أمَّا ما حدثَ مِنْ أَرْنُوب ، فإنَّهُ بعْدَ أَنْ وصلَ إلى منْزِلهِ ، خَبَأَ أكْياسَ الذَّهَبِ ، في مكانٍ أمينٍ ، ثم نادَى زَوْجَتَهُ ، وقالَ لها :

- أعْلِني للقَرْيَةِ كُلِّها أنَّني قدْ مُتُّ فَجْأَةً ..

فتعَجَّبَتِ الزَّوْجةُ قائلةً :

- كيْفَ أقُول لهمْ إنَّكَ مُتَّ ، وأنْتَ حَيٌّ أمامِي ؟!

فصَرَخَ فيها غاضِبًا :

- نَفِّذِي ما قُلْتُهُ لكِ ، وسوْفَ تَرَيْنَ حالاً ..



ونامَ أَرْنوبٌ على الأَرِيكَةِ ، بلا حَرَاكٍ ، وكأنَّه ميِّتٌ ..
أَمَّا الزَّوْجَةُ ، فقد وقفَتْ عِنْدَ باب المَنْزِلِ ، وراحتْ تَصْرُخُ :
– آه .. النَّجْدَة .. لقَدْ مَات أرْنُوبٌ فجْأَةً ..
وتجمَّعَ أَهْلُ القَرْيةِ في مَنْزِلِ أَرْنوبٍ ، ورَاحُوا يُواسُونَ زَوْجَتَه ، بيْنَمَا أَرْنُوبٌ فِي داخِلِه كَانَ يَضْحَكُ مِنْ جَهْلِهِمْ ..
وفي هذه الأَثْنَاء وصل تعْلُوبٌ راكبًا ثورَهُ ، فلمَّا رأى الزِّحامَ ، وسَمِعَ العَوِيلَ والبُكاءَ على أَرْنُوبٍ ضحِكَ في نَفْسِه ، وقالَ :

- هذه لُعْبَةٌ مَكْشُوفَةٌ ، وقدْ لعِبتُها عليْكَ قبْلَ ذلك يا أَرْنوبُ ، ولكنْ طالَما أنَّك تتظاهرُ بالْموْتِ ، فأنا أيْضًا سأتظاهرُ بالْحُزْنِ عليْكَ ، حتى نُسَوِّيَ الْحِسابَ مَعًا ..

وراحَ تعْلُوبُ يَصْرُخُ ويَبْكي مُوَلْوِلاً :

- آه .. لقدْ ماتَ صديقي ، بلْ أعزُّ أصْدِقائي .. وطالَما أنَّكَ مُتَّ يا صديقي إذَنْ فلا طَعْمَ للحْياةِ ، ولا للسَّعادةِ بَعْدَكَ .. ما قيمةُ الْحياةِ بِدُونِ صَديقٍ مُخْلِصٍ مثْلِ أَرْنوبٍ ؟!



وتَمدَّدَ تعْلُوبٌ على الأَريكَةِ بِجوارِ أَرْنوبَ صارِخًا :
- أَرْجُوكُمْ ادْفِنُونِي بِجوارِه ، ولا تُفرِّقوا بَيْنَنَا بعْدَ الْممات ..
ثُمَّ أَغْمضَ عَيْنَيْه ، وكَتَمَ أَنْفاسَهُ مُتظاهِرًا بالمَوْتِ ..
وأَمَامَ ما حَدَثَ ، لمْ يَجِدِ النَّاسُ بُدًّا مِنْ حَمْلِ الأَريكَةِ ، وعلَيْها الصَّديقَانِ الْحَميمَانِ ، وسَاروا بهما إِلى خَارِجِ الْقَرْيَةِ في مَوْكِبٍ طَويلٍ ، لِدَفْنِهما ..



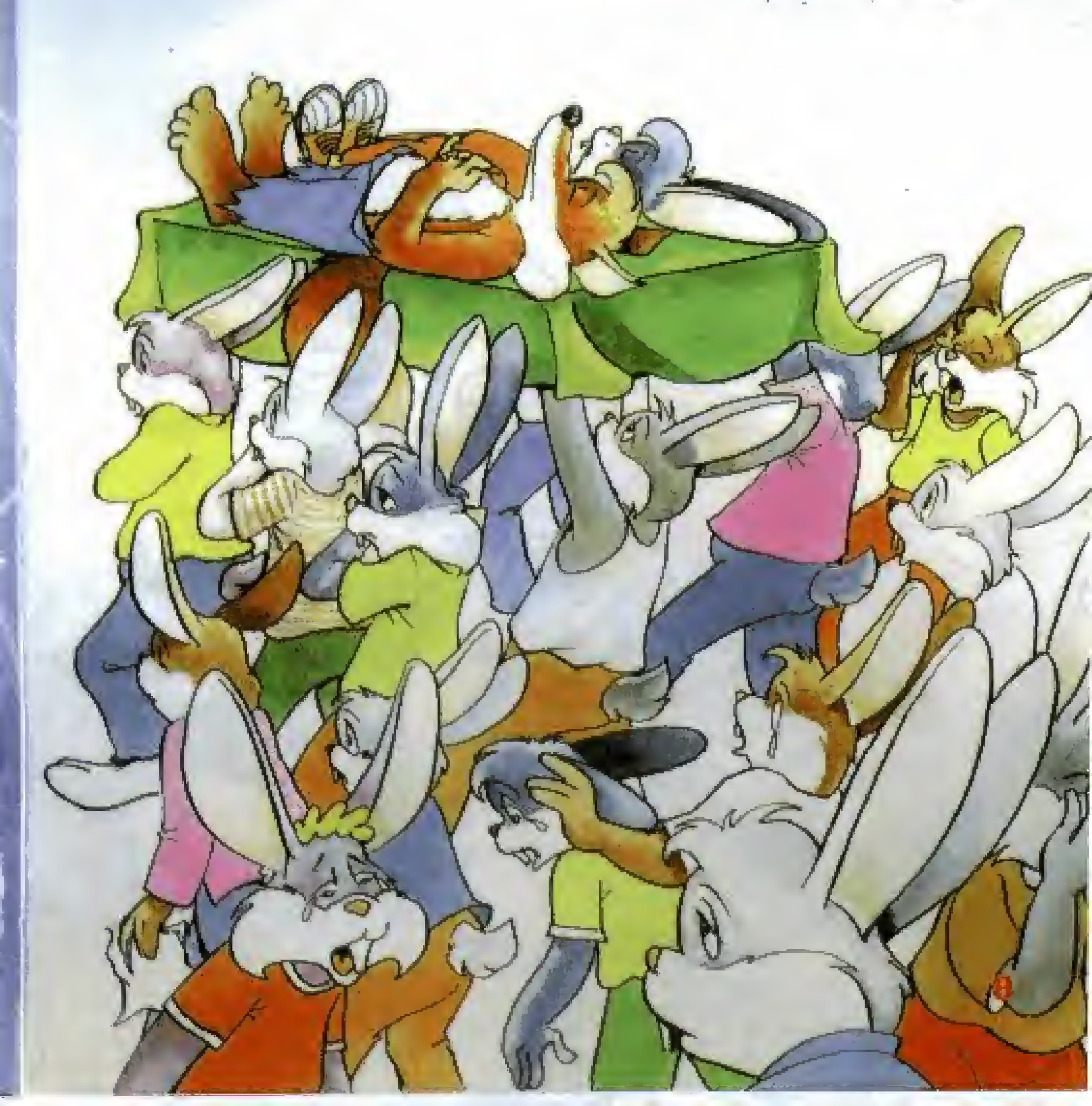
وفى قَبْرٍ قَدِيمٍ وضعَ النَّاسُ جُثَّتَي الْمَرْحُومَيْنِ علَى الأرْضِ ، ثُمَّ غادَرُوا الْمَكانَ ، فَبَقِيَ أرْنوبُ وتَعْلُوبُ وحْدَهُما ..

فَفَتَحَ تعْلوبُ عَيْنَيْه بِبطْءٍ نَاظِرًا نَحْوَ أرْنوبٍ ، وقَال له ، بصَوْتٍ خَافِتٍ :

- السَّلامُ عليْكُمْ ..

فردَّ عَلَيْه أرْنوبُ بصَوْتٍ أكْثَر خُفُوتًا :

- وعلَيْكُمُ السَّلامُ ..





فقالَ له تَعْلوبُ بِمَكْرٍ :

- أَمَا آنَ الأَوَانُ ، لِكَيْ نَقْتَسِمَ الذَّهَبَ ؟!

فقَالَ له أَرْنوبُ بِمَكْرٍ :

- عَنْ أيِّ ذَهَبٍ تتحدَّثُ ؟!

فقالَ تعْلُوبُ :

- الذَّهبُ الَّذِي خَدَعْتَني واسْتَوْلَيْتَ عليهِ منْ تَحْتِ الْمَوْقِدِ ، حِينما كُنْتَ تتظَاهَرُ بالْحُزْنِ عَلَيَّ ..

فضحِكَ أَرْنوبُ وقال :

- أنْتَ الْبَادِئُ بِخِداعي .. بفَضْلِ حِيلَتِي أعَدْتُ إِلَيْكَ ثَلاثَةَ أكْياسٍ ، وبرَغْمِ ذلِكَ رَاوَغْتَنِي لتَسْتَولي عَلَيْهَا وحْدَكَ ..

فقالَ تعْلوبُ :

- هأنَذَا أُقِرُّ بِحَقِّكَ في نِصْفِهَا .. هيَّا نَخْرُجِ مِنْ هُنا ، لِتُعِيدَ إِلَيَّ نَصِيبِي ..

فقالَ أرْنوبٌ :

- أَنَا مُوَافِقٌ على إِعَادَةِ نِصْفِ الذَّهَبِ إِلَيْكَ ، ولكِنْ بِشَرْطٍ ..



فقالَ تعْلوبٌ :
- ما هُوَ شرْطُكَ ؟!
فقالَ أَرْنوبٌ :
- أَنْ تَكُفَّ عَنِ ادِّعاءِ الذَّكاءِ و الدَّهاءِ مَعي أَنا بِالذَّاتِ ..
فقالَ تعْلوبٌ :
- مُوافِقٌ .. أَعِدْ إِلَيَّ ذَهَبِي ..
فقالَ أرْنوبٌ :
هيَّا بِنا ..



وهَمَّ الاثْنَانِ بالنُّهُوضِ ، لكِنَّهُما سَمِعَا فِي هذه اللَّحْظَةِ جَلَبةً ، وضَوْضَاءَ بالْخَارِجِ ، فتَسَمَّرا فِي مَكَانَيْهما ، وكأَنَّهُمَا مَيِّتَانِ .. وفِي هذه اللَّحْظَةِ فُتِحَ الْبَابُ بقُوَّةٍ ، واقْتَحَمَتْ عِصَابَةُ الْمكانَ ، وهُمْ يَحْمِلُون جَرَّةً كبيرةً مَلِيئَةً بالذَّهَبِ .. ثُمَّ جَلسوا يقْتَسِمونَ الذَّهبَ .. وكَانوا أَرْبَعَةَ لُصُوصٍ ..





قَسَمَ زَعِيمُ الْعِصابَةِ الذَّهبَ إِلَى سَبْعَةِ أَكْوَامٍ ، ثم نَظَرَ لِرِفاقِهِ قائلاً :

- سآخُذُ أَنا خَمْسَةَ أَكْوَامٍ ، فَيَتَبَقَّى كَوْمَانِ ، يأْخُذُ اثْنانِ مِنْكُمْ كُلُّ واحِدٍ كَوْمًا ..

فقالَ اللُّصُوصُ الثَّلاثَةُ :

- والثَّالِثُ ماذَا يأْخُذُ ؟! أَيْنَ نَصِيبُهُ ؟!

فَأَمْسكَ الزَّعِيمُ بِسَيْفٍ قديمٍ وقال :

يأْخُذُ هذا السَّيْفَ ..

ولمْ يرْضَ أحدٌ مِنَ اللُّصوصِ الثَّلاثةِ ، أنْ يكونَ السَّيْفُ من نصيبِه ، فغضِبَ زعيمُ اللُّصوصِ ، وقال :

- أيُّها الحمْقَى .. هذا السَّيْفُ الأصيلُ أفْضلُ مِنْ حفْنةٍ فانيةٍ مِنَ الذَّهبِ .. به يسْتطيعُ الإنْسانُ أنْ يحْمِيَ حياتَهُ .. انْظُرُوا كيْفَ سأُمزِّقُ هذيْنِ المَيّتيْنِ بضرْبةٍ واحدةٍ ..

وأخْرجَ السَّيْفَ مِنْ جِرابِه ملوِّحًا بهِ ، ومُسْتعِدًا لِضرْبِ أرْنُوبٍ وتعْلُوبٍ ..



ولَمْ يَسْتَطِعْ أَرْنُوبُ وثَعْلوبُ التَّظَاهُرَ بالْمَوْتِ أكْثَرَ مِنْ ذلكَ ، فهبّا واقِفَيْنِ ، وصَرَخَ أَرْنُوبُ قَائلاً :

– أيُّهَا الْمَلاعِينُ الأَشْرَارُ ، أَلَمْ يَكْفِكُمْ مَا أَرَقْتُمْ مِنْ دُمُوعِ الأَحْيَاءِ بِسَرِقَاتِكُمْ ، فجِئْتُمْ لِتَتَطَاوَلُوا على الْمَوْتَى ؟!

اسْتَعِدُّوا لِلمَوْتِ رُعْبًا ، فقدْ حَانَتْ سَاعَةُ الْقِصَاصِ وَالانْتِقَامِ مِنْكُمْ ..

أُصِيبَ اللُّصُوصُ بالذُّعْرِ والْفَزَعِ مِنْ هَذَيْنِ الْمَيِّتَيْنِ اللَّذَيْنِ يتَحرَّكانِ ويتكلَّمَانِ ، وظَنُّوهما شَبَحَيْنِ ، ولِذَلِكَ أخذُوا يَجْرُونَ مُتَخَبِّطِينَ ، وكلٌّ مِنْهُمْ يدْفعُ الآخَرَ فى طَرِيقِهِ أَوْ يَدُوسُ عَلَيْهِ ، وَهَربوا تارِكِينَ مَسْرُوقَاتِهِمْ ..



فأخَذَ أرْنوبٌ وتعْلوبُ يَضْحكان .. وَجَمَعَ تَعْلوبُ الْمَسْروقاتِ ليَقْتسِمَها مع أَرْنُوبٍ ، لكِنَّ أَرْنوبًا أَمْسَكَ بالْمَسْروقَاتِ قَائلاً :

– لا .. هذه الْمَسْروقَاتُ سَنُعِيدُها إِلى أَصْحَابِها ..

فسأَلَهُ تَعْلُوبٌ :

– والذَّهبُ الذى تُخَبِّئُهُ فى مَنْزِلِكَ ؟

فقالَ أَرْنوبٌ :

– مِنْ حَقِّكَ كِيسٌ واحِدٌ ، والْكِيسَانِ الآخَرانِ سَنُعِيدُهُمَا لِصَاحِبِهِما .

(تمَّتْ)

الكتابُ القادمُ :

تِجَارَةٌ رَابِحَةٌ جِدًا



رقم الإيداع [illegible]